مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

فعل الاستفهام بـ" هل " في القرآن الكريم، وقيوده النحوية والمقامية بين التراث والتداولية.

The interrogative acte “HALL” in the Holy Qur’an, and its grammatical and denominator conditions between heritage and pragmatics

طالب دكتوراة/ محمد بومقواس

مخبر : التداولية وتحليل الخطاب الأدبي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

med.boumegouas@lagh-univ.dz

د/محمود طلحة

مخبر: التداولية وتحليل الخطاب الأدبي

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

talhamahmoud@gmail.com

المؤلف المرسل:محمد بومقواس Boumegouas Mohammed

med.boumegouas@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 23 /2021/09 تاريخ القبول: 20 /2021/10

ملخص: نسعى من خلال هذا العمل إلى تتبع أسلوب الاستفهام في أصوله من الدرس اللغوي والبلاغي عند العرب، لكشف أهم القضايا التي أثيرت حوله عند علمائنا، خاصة ما تعلق منها ببحث آليات إنشاء الاستفهام من سالكه طريقا، إلى إنجازه فعلا كلاميا – وفق المنظور التداولي – ثم بعد ذلك سنبحث طريقة تأويل تلك الاستفهامات، وهذا لكشف مقاصد المتكلم بما يدعى بالأفعال المشتقة والمتعلقة بصور خروج الاستفهام عن أصل ما وضع له، والتي كانت موضوع دراسة عند علماء العرب، ومن بعدهم الباحثون في

مجال التداولية، فهذا البحث يستهدف وصف وتفسير جانب من تراثنا البلاغي في ظروفه وشروطه، ومقارنة ذلك بما استقر حديثا من بحث تداولي لهذا الأسلوب، وهذا لنستنتج أوجه التقاطع وأوجه الاختلاف بين البحثين، فأساس بحثنا هو محاولة لبيان المقاربة ما بين دراسة النحويين والبلاغيين في دراستهم لعمل الاستفهام بالحرف "هل " في التراث العربي، و دراسة المحدثين له، وفق نظرية الأفعال الكلامية .

كلمات مفتاحية: فعل الاستفهام– الشروط النحوية– المقام– التداولية.

.**Abstract::** Through this work, we seek to trace the interrogative method in its origins from the linguistic and rhetorical lesson of the Arabs. To reveal the most important issues that have been raised about it by our scholars, especially those related to the study of the mechanisms of creating an interrogative from the one who follows it, to its speech act according to the pragmatic perspective.Then, we will discuss the way of interpreting those questions to find out the intentions of the speaker with the so-called derivative verbs related to the forms of the question's departure from the origin of what was put to it; which was the subject of a study by Arab scholars, and after them researchers in the field of pragmatics.This research aims to describe and explain a part of our rhetorical heritage in its circumstances and conditions comparing it with what has recently been established from a pragmatic research for this method, and this to deduce the points of intersection and the differences between the two researches.The basis of our research is an attempt to demonstrate the approach between the study of grammarians and rhetoricians in their study of the question work with the letter "do" in the Arab heritage, and the modernists' study of it according to the speech act theory.

Keywords: interrogation acte-grammatical terms – Denominator - pragmatic.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

1. مقدمة:

يُعنى النحو بتوضيح الشروط المحددة والقواعد التي تضمن صياغة الأقوال الجيدة، وتهتم الدلالة بالشروط التي تجعل الأقوال مفهومة وقابلة للتفسير، بينما يهتم الدرس التداولي بالشروط اللازمة كي تكون الأقوال اللغوية مقبولة وناجحة وملائمة في الموقف التواصلي الذي يتحدث فيه المتكلم، ومن هذا المنطلق سنخصّص مقالنا هذا لإظهار دور الاستفهام بالحرف "هل" بصفته فعلا كلاميا أصيلا، يحقق طلب الفهم، وقد يُنجِز أفعالا كلامية غير طلب الفهم، هذه الأفعال الكلامية الأصلية أو الجديدة تتحقق انطلاقا من البنية النحوية التركيبية للاستفهام ذاتها، باعتبارها تعد منطلقا داخليا يحيل إلى دلالة ثانوية تستخرج وتفهم بمعية القرائن اللغوية والمقامية لورود الاستفهام بـ"هل" وبالخصوص في القرآن الكريم، فلكلّ كلام مقامٌ مخصوصٌ، حيث إنّ كل فعل كلامي يتحقق وفق شروط نحوية خاصة، تتحقق بتوجيه من المقام الذي هو مندرج فيه متأثر به، وهذا ما ذكره غير واحد من علماء البلاغة، فنجد أن الجاحظ255ﻫ قد بيّن في "البيان والتبيين" دور المقام في العملية التواصلية من جانب الفهم والإفهام، وكذا السكاكي626ﻫ في "مفتاح العلوم" قد فصل القول في تنوع المقام ودوره في تحديد الدلالة، وعلماء التفسير وعلماء الأصول بنوا قاعدة بحوثهم على المناسبات ومقامات الكلام، وأمّا عن التداولية فهي– كما عرفها الأستاذ مسعود صحراوي– مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب[1] ، فلا دلالة ولا معنى خارج مبدأ النفعية في الكلام الذي يحدده المتكلم مع السامع في عملية تواصلية يكون رابطها المقام، ومنه نطرح السؤال: فيم تظهر الشروط المعقودة للاستفهام حتى يكون فعلا كلاميا أصيلا؟ ومتى يمكن أن يخرج عن أصل ما وضع له، لينجز أفعالا كلامية أخرى؟ فإشكالية بحثنا تنظر في مدى تحقق الاستفهام بصفته فعلا كلاميا، بالشروط النحوية، وما يقابله في الدراسات الحديثة في نظرية الأفعال الكلامية، خاصة عند سيرل(searle)، إذ

يهدف مقالنا إلى إظهار مدى اتساع دائرة الشروط الموضوعة لتحقق الفعل الاستفهامي، ومنها الشروط النحوية في التراث اللغوي العربي، والشروط التداولية بالنسبة للدرس اللساني المعاصر،وهذا بما أقرته نظرية أفعال الكلام التي تحدد التركيب حسب الاستعمال، أو لنقل الغرض المنشود، ومنه وجدنا المنهج التحليلي المقارن سبيلا مناسبا لتحقيق هدف بحثنا، فلا وصول إلى نتائج مرضية إلّا من خلال تحليل فعل الاستفهام بـ"هل" عند علمائنا العرب، ومنهم البلاغيون، وتكرار نفس التحليل في أفعال الكلام عند سيرل، ومن ثم مقارنة الدراستين لنثبت ما نحن عازمون على إثباته، وهذا من خلال النتائج التي سنتوصل إليها.

2. أفعال الكلام:

1.2 نظرية الفعل الكلاميspeech act theory :

نظرية الفعل الكلامي هي من النظريات الحديثة التي أخذت بحظّ وافر من جهود الدارسين، فأخذوا ينقبون في مفاهيمها النظرية ليسقطوا ما رأوه مناسبا على الدراسات في جانبها التطبيقي، والذي يهمنا في هذا البحث هو التطرق إلى أهم قضايا الاستفهام بصفته فعلا كلاميا له شروط تجعله يتحقق بها.

وحينما نتحدث عن الفعل الكلامي، فإنّنا نذكر العالم الإنكليزي (أوستين J.Austin) مؤسس هذه النظرية في محاضراته التي نُشرت بعنوان (كيف نصنع الأشياء بالكلمات.. How to Do Things with Words) فأرسى معالمها متأثرا بفلسفة اللغة التي أثارها "فدغنشتاين" متكلما عن الاستعمالات المختلفة للغة، لذا كان مفهوم الفعل الكلامي هو كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وهذا يُعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية ،كالطلب والأمر والوعد والوعيد، وغايته تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي، ومن ثمّ إنجاز شيء ما، وقد قسّم (أوستين J.Austin) الفعل الكلامي إلى ثلاثة أفعال فرعية وهي على النحو الآتي:

1- **فعل القول(acte locutoire)** :المقصود به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة، فهو مساو للنطق بجملة معيّنة لها معنى يكون بثلاثة مستويات هي:

الفعل الصوتي: عملية فيزيائية لتوليد الأصوات.

الفعل التركيبي : أي عملية تلفظ الأصوات من نوع محدد تشكل كلمات معينة في نظام نحوي معين وبتنغيم معين.

الفعل الدلالي : هو عملية استعمال تلك الجملة بدلالة محددة وبإشارة محددة.

2- **الفعل المتضمن في القول(acte illocutoire)** : هو الفعل الإنجازي الحقيقي، وهو عمل يُنجز بقول ما، فالفعل الكلامي يكون من أجل تنفيذ المقاصد التواصلية للدلالة على المعاني الثواني التي يبينها الداعي إلى الكلام.

3- **الفعل الناتج عن القول(acte perlocutoire)**:هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع التضليل، الإرشاد،...، فالفعل الناتج عن القول يمثل النتائج أو التبعات والعواقب التي يولدها الفعل الكلامي، وهو فعل غير لغوي ينجز نتيجة لإنجاز كل من فعل القول والفعل المتضمن في القول .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الفعل الكلامي مرتبط بقصد المتكلم عن طريق التأثير في المتلقي، وهذا بربط العبارة اللغوية بمراعاة مقاصد المتكلمين، فالداعي إلى الكلام عنصر مهمٌّ في ترسيخ تحقق الفعل الكلامي، وقد قسّم "أوستين" الأفعال الكلامية خمسة أصناف:

1- الحكميات(les verdictifs): إطلاق أحكام على واقع أو قيمة مما يصعب القطع به ومن أمثلتها: فهم، حسب، حلل، صنف...الخ.

2- الممارسيات(les exercitifs): تقوم على استعمال الحق أو القوة ومن أمثلتها : عين، سُمّي، استقال، أعلن، صوت، صرح، أمر، ونهي.

3- الوعديات(les prpmissifs): إلزام المتكلم بأداء فعل ما، كما قد تكون إفصاحات عن نواياه ومن أمثلتها : وعد، نذر، أقسم، راهن، عقد، عزم ..الخ.

4- السلوكيات(comportatifs): ترتبط بإفصاحات عن حالات نفسية باتجاه ما يحدث للآخر من سيرة المتكلم أو السلوك الاجتماعي، ومن أمثلتها : اعتذر، شكر، هنأ، عزي، انتقد، مدح، هجا، ودع، بارك.

5- التبيينيات(les expositifs): و هي توضيح علاقة أقوالنا بالمحادثة , أو المحاجة الراهنة، ومن أمثلتها : أثبت، أنكر، تأكد، استنبط، شرح .

ولقد وضع أوستين شروطا لتحقق الفعل الإنجازي سماها " شروط النجاح" أو "الشروط الموفقية"(felcity conditions) و هذا مهمٌ في بيان الشروط التداولية التي تسمح بنجاح الفعل الكلامي، وهي:

أ -1 - يجب أن يكون هناك إجراء عرفي متواضع عليه له تأثير متعارف عليه ، ويتضمن ذلك الإجراء النطق بكلمات،معينة من قبل أناس معينين .

أ- 2- إن الأشخاص و الظروف المذكورة يجب أن يكونوا مناسبين للقيام بالإجراء في تلك الحالة المعينة.

ب-1- يجب أن ينفذ الإجراء من قبل كل المشاركين بصورة صحيحة.

ب-2- و بصورة تامة.

ج- 1- الشخص المشارك في تنفيذ الإنجاز يجب أن تكون له نفس الدوافع في العملية الإنجازية.

ج- 2 يجب عليهم تنفيذ ذلك الإنجاز.

2.2 الفعل الكلامي عند سيرل:

ثم بعد ذلك أكمل (سيرل Searl) مسيرة أستاذه أوستين، حيث أكد على "تفسير المخاطب" عوض "مقاصد المتكلم" عند أوستين، كما اعتبر سيرل أنّ لأيّ مقولة أكثر من مغزى واحد يفسّر بعدّة مستويات، وهذا حسب المستمع، ومن أهمّ ما جاء في تقسيم نظرية الفعل الكلامي عند سيرل:

1- فعل القول (الفعل الإنجازي): هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، فالجمل المنطوقة قد تشكل قضية واحدة و هي تستخدم كعناصر لإنجاز الفعل الكلامي.

2- الفعل القضوي (acte propositionnel) و يعادل ما يسمى التركيب الإسنادي بين موضوع ومحمول، فالحمل متعلق بالمسند، والإحالة متعلقة بالمسند إليه.

3- الفعل المتضمن في القول: كالوعد والاستفهام والأمر.

4- الفعل الناتج عن القول: هو الأثر الناتج عن التلفظ.

فالفعل الكلامي عند سيرل مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، كما أنه قام بتطوير الشروط التي ذكرها أوستين وجاءت كما يلي:

أ- شرط المحتوى القضوي: هو المعنى الأصلي للقضية، ففي الوعد يجب أن يكون الفعل دالا على المستقبل.

ب- الشرط التمهيدي : و يتحقق إذا كان المتكلم قادرا على إنجاز الفعل.

ت-شرط صدق النية: لا يزعم المتكلم أنه قادر على فعل ما لا يستطيع.

د- الشرط الأساسي : يكون النطق بالمقولة بمثابة تعهد بالالتزام بإنجاز الفعل.

و منه قدم سيرل تقسيما للأفعال الكلامية، جعله خمسة أصناف كذلك هي:

1- التقريريات(les assertifs): غرضها بيان اعتقاد المتكلم بخبر أو قضية ما، أي وصف واقعة من خلال قضية.

2- التوجيهيات(les directifs): وغرضها توجيه المخاطب وجعله يقوم بعمل ما.

3- الوعديات (les promissifs): إلتزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، ومنه الوعد والوصية.

4- البوحيات(les expressifs) : غرضها التعبير عن الموقف النفسي، وهي تتعلق بموقف يحدده المحتوى الخبري.

5- الإيقاعيات(les declarations): هي أفعال يتغير العالم بعد النطق بها، مثل ألفاظ الاستقالة و الزواج...

و نشير إلى أن سيرل ميّز بين الأفعال الإنجازية المباشرة، التي تكون قوتها الإنجازية تطابق ما يقوله المتكلم، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة، فهي التي تخالف قوتها الإنجازية مراد المتكلم، وهناك ضوابط حددها سيرل للتمييز بين الأفعال الإنجازية المباشرة و الأفعال الإنجازية غير المباشرة هي:

- القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الإنجازية للأفعال غير المباشرة فلا تظهر إلا في المقام، وهذا مهم لما نتناوله في بحثنا.
- القوة الإنجازية غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قلت : أتذهب معي للمكتبة؟ يمكن أن يلغى الطلب و يبقى الاستفهام.

-القوة الإنجازية غير المباشرة يتوصل إليها عبر عمليات ذهنية استدلالية، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ من العبارة[2].

3. الاستفهام :

1.3 تعريف الاستفهام وأركانه:

الاستفهام في أصل اللغة هو طلب الفهم، وفي الاصطلاح هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن[3].

2-1: أركان الاستفهام :

الاستفهام أسلوب لغوي وبلاغي، له خصائص وأركان تميزه عن باقي الأساليب، هذه الأركان تناولها العلماء قديما وحديثا، ومن بينهم الأنباري إذ يقول:« اعلم أن السؤال هو طلب الجواب بأداته في الكلام، وهو مبني على أربعة أصول، أحدها سائل والثاني مسؤول به والثالث مسؤول منه والرابع مسؤول عنه، ولا بدّ لكلّ أصل من هذه الأصول من وصف يصحّ به السؤال عند وجوده، ويفسد عند عدمه »[4].

من المتفق عليه أنّ الاستفهام يدلّ على طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما، وسائل يجهل المعلومة، ومسؤول يتوسم فيه امتلاك المعلومة، وتعبير لغوي موجه بأداة استفهام، أو تنغيم صوتي يقوم مقام الأداة، وعناصر مقامية، فإذا توفرت هذه الشروط كلّها في إنجاز جملة استفهامية ما، أُجري الاستفهام على أصله، أمّا إذا أنجزت الجملة الاستفهامية في مقام غير مطابق فإن معناها الأصلي يخرج إلى معنى آخر[5]، فأركان الاستفهام المعروفة هي أربعة وهي:المستفهِم، المستفهَم، المستفهَم عنه، والأداة، مع إضافة

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

ركن أساس هو الموجه لدلالة وغرض الاستفهام، نقصد به (المقام)، وسنفصل في شروط كل ركن حتى يجرى الاستفهام على حقيقته في طلب الفهم:

1- المستفهِم: و يشترط فيه أن يكون جاهلا بالموضوع .

2- المستفهَم: يشترط فيه أن يكون قادرا على فهم موضوع الاستفهام والقدرة على تأويله بما يناسب المقام.

3- المستفهَم عنه: و يشترط فيه أن يكون مجهولا لدى المستفهِم، وفيه:

أ/ استفهام عن نسبة(التصديق): و يتعلق بالاستفهام عن نسبة المسند إلى المسند إليه.

ب/ استفهام عن مفرد(التصور): طلب الفهم عن مفرد نحو: أخالدا زرت؟

4- مسؤول به (صيغة السؤال): و ينبغي أن يكون ببعض ألفاظ الاستفهام، أو قد تحذف الأداة وينجز الاستفهام بالتنغيم أو لنقل النبر[6].

5- المقام: وهو مجموع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفويا كان أم مكتوبا[7]

2-2: الأسباب التي تدفع للخروج عن معنى الاستفهام:

كثيرا ما يخرج الاستفهام عن إرادته الحقيقية التي وضعت له أصلا في طلب الفهم إلى معان أخرى يستدل عليها من قرائن المقام، وتأتي بالتعبير بصورة غير مباشرة، تؤول ذهنيا، فهي: «دلالات تتصيد بالذكاء»[8]، والمقصود بخروج الاستفهام عن حقيقته :« أن يقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام »[9]، وفي خروج الاستفهام عن حقيقته التي وضعت له، يبين ابن جني أنّه ليس شيء يخرج عن بابه إلى غيره إلّا لأمر قد كان، وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفا به مع استفهامه في الظاهر عنه لكن غرضه في الاستفهام عنه أشياء...وذكر هذه الأشياء التي تكون سببا في خروج الاستفهام عن حقيقته، منها أن يرى المسؤول أنه خفي عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يعترف حال المسؤول هل هو عارف بما السائل عارف به[10]، يقول صاحب "الفوائد" عن خروج الاستفهام إلى معان أخرى :« إنه استفهام العالم بالشيء،

مع علمه به»[11] فهنا لا يريد طلب الفهم الذي هو الاستفهام عن الشيء، فبهذا يكون الاستفهام قد خرج عن حقيقته، ولا بد من الإشارة إلى أنه رغم خروج الاستفهام عن ظاهره، إلا أن الدلالة الحقيقة تبقى مطروحة « ولكن ينضم إليه ما يستفاد منه من المعاني التي يُدَلَّ به عليها»[12]، فالاستفهام يحمل دلالتين متوازيتين ظاهرة وباطنة، و« لكون الاستفهام طلب ما في الخارج أو تحصيله في الذهن، لزم ألا يكون حقيقيا إلا إذا صدر عن شاك مصدق بإمكان الإعلام، فإن غير الشاك إذا استفهم يلزم تحصيل الحاصل، وإذا لم يصدق بإمكان الإعلام انتفت فائدة الاستفهام» [13]، ووجه تعدد دلالة الاستفهام على هذه المعاني تعددت فيه آراء العلماء، فقيل هي من باب « المجاز وقيل إنه كناية، وقيل إنه مستفاد من مستتبعات الكلام»[14]، وهذا ما عبر عنه البلاغيون بالاتساع على حد تعبير الجرجاني، ويعده من عمل العقل وحده[15]، ويعدّ سعد الدين التفتازاني من الأوائل الذين أثاروا مسألة خروج الأساليب الإنشائية عموما، – والاستفهام منها–عن معانيها الأصلية، فقال وهو يتحدّث عن الاستفهام:« ثمّ إنّ هذه الكلمات الاستفهامية كثيراً ما تستعمل في غير الاستفهام مما يناسب المقام بمعونة القرائن وتحقيق كيفية هذا المجاز، وبيان أنه من أيّ نوع من أنواعه مما لم يحم أحد حوله، كالاستبطاء والتعجب والوعيد والتقرير» [16] .

وأما عن الاستفهام في القرآن، فهو يختلف عن الاستفهام في كلام البشر الذي يعُد فيه المستفهم غير عالم، إنما يتوقع الجواب فيعلم به، والله سبحانه منفي عنه ذلك،فـ« لا يكون الاستفهام منه تعالى على حقيقته»[17]، لأنه تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء، فالاستفهام في القرآن غير حقيقي، لأنه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، وإنما يخرج الاستفهام في القرآن مخرج التوبيخ و التقرير، فالله تعالى يستفهم عباده ليقرهم ويذكرهم أنهم قد علموا حق ذلك الشيء، فإذا استفهموا أنفسهم عنه يجدونه عندها تخبرهم به.

2.3 خصائص الاستفهام بـ(هل):

"هل" حرف استفهام يطلب به التصديق دون التصور، فيمتنع قولك : هل زيدا ضربت ؟ لأن تقديم الاسم يشعر بالاستفهام عن نسبة، ولا يكون المستفهم معها إلا فيما لا ظن له فيه البتة، و(الهمزة وهل) حرفان لا محل لهما من الإعراب.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

إن لأداة الاستفهام "هل" خصائص عديدة تميزها عن باقي حروف و أسماء الاستفهام جاءت في كتب النحويين هي :

1- لا يذكر معها معادل : لأن ذلك يؤدي إلى التناقض، فالسؤال بـ"هل" يقتضي جهلك بالحكم، وإذا ذكرت المعادل بـ" أم " يدل على معرفتك بالحكم، فيجمع علمك بالحكم مع جهلك به في جملة واحدة، وهذا لا يكون، إلا إذا كانت "أم" منقطعة.

2- لا تدخل "هل" على الفعل المضارع إلا إذا دل على الاستقبال، وهذا لأنها مثل السين وسوف،نحو:هل تكمل دراستك ؟

3- لا تدخل على الشرط: فلا يصح قولنا: هل إن جئتك تكرمني ؟ لأن جملة الشرط تتكون من جزأين يتعلق تحقق أحدهما بالآخر.

4- لا تدخل على إنَّ: نحو : هل إنك ناجح؟، لأن "إن" تفيد التوكيد في حين أداة الاستفهام لمعرفة مجهول، بل يمكن أن تكون "هل" بمعنى" إن "، ومنه قوله تعالى:{هل في ذلك قسم لذي حجر} بمعنى إن في ذلك قسم لذي حجر} قال ابن هشام و هو بعيد.

5- اختصاصها بالإيجاب، فلا تدخل على النفي: فلا يستقيم قولٌ نحو: هل لم يستيقظ النائمون؟

6- أكثر ما يليها الفعل: فالاسم بعدها إن وليه فعل يكون فاعلا لا مبتدأ نحو قولنا: هل أطفال الحجارة يلقنون اليهود درسا قاسيا؟، أن دخلت على الجملة الاسمية فلغرض بلاغي، مثل قول الله تعالى: { فهل أنتم منتهون } و لم يقل "تنتهون" لأن الانتهاء أو الشكر غير مقيد بزمن، ودخول " هل "على الجملة الاسمية يدل على الثبات دون التعرض لزمن، فهي :« لا تدخل على جملة اسمية خبرها فعل نحو هل زيد قام؟ ».

7- تقع بعد العاطف لا قبله: نحو : فهل يهلك إلا القوم الفاسقون}الاحقاف35

8- تأتي بمعنى " قد " : وذلك مع الفعل، نحو قول الله تعالى :{ هل اتى على الانسان ...}، وذكره

كثير من النحاة والبلاغيين منهم سيبويه فعنده " هل " تكون بمعنى " قد "، والاستفهام فيها مستفاد من همزة مقدرة معها، تقول: أم هل، فإنما هي بمنزلة "قد" .لذا لا تدخل على جملة فيها "قد" مع الفعل الماضي، لأنه يفيد التحقيق، والاستفهام يكون لأمر يجهله المتكلم[18].

و تخرج "هل" عما وضعت له، فترد لمعان عديدة تستخرج من المقام، وهو ما نراه في الجانب التطبيقي من هذا البحث.

4المقام:

4 .1 – مفهوم المقام:

يعد المقام المحور الأساس الذي تدور حوله البلاغة العربية، خاصة في توجيه المعاني النهائية للأساليب، فاختلاف المقام يغير الدلالات، وهو ما جاء صريحا في البيان والتبيين، إذ يبين الجاحظ أنه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها و بين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، وأقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات، فالمقام عند الجاحظ مرتبط بكلّ ما يحيط بالعملية التخاطبية في التواصل، ثمّ يتكلّم عن فكرة تداولية خالصة، تتعلق بإحراز المنفعة من الكلام وما يرتبط به من مقامات، يقول:« والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال»[19]، يقول الدسوقي في حاشيته على السعد مبيّنا ترابط اختلاف المقتضيات باختلاف المقامات، فمقامات الكلام عنده هي:« الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام، وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأنّ اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسبّبات»[20]، فعند تفاوت المقامات تختلف مقتضيات المقام ضرورة، فالاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال، إن الكلام مرتبط بالمقام الذي يرد فيه، على اعتبار أنّ مقتضى الحال مختلف، لذا فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، « فمقام كل من التنكير

والإطلاق والتقديم والذكر يباين مقام خلافه، ومقام الوصل يباين مقام الفصل، ومقام الإيجاز يباين مقام خلافه، وكذا خطاب الذكي مع خطاب الغبي، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام»[21]، أمّا السكاكي فنجده يؤكد ارتباط الكلام بالمقامات المختلفة، يقول في "المفتاح":« لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التشكر يباين مقام الشكاية، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام الهزل وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار والإنكار ومقام البناء على السؤال يغاير مقام الثناء على الإنكار وكذا مقام الكلام مع الذكي يباين مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»[22]، فالمقام في التراث البلاغي العربي أساس بنى عليه البلاغيون رؤيتهم للكلام العربي من جميع جوانبه.

4 .2– المقام في الدراسات التداولية:

إنّ مفهوم التداولية مرتبط بالمقام، وهذا ما عبر عنه في البلاغة القديمة بعبارة (مقتضى الحال) ومقولة (لكل مقام مقال)، فالمقام هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين، ويحدد "فال" (vahle) مفهوم المقام بقوله أنه مجموعة من العوامل التي يتعين على الفرد الاحتفال بها حتى يتوفق في إنجاز فعله، أما عن عناصر المقام فقد حصرها "لفندرلش" (wunderlich) في عناصر هي: المشاركون، مكان التفاعل، القول، مقاصد المتكلمين، ترقبات المتكلم والمستمع، مساهمة المشاركين في الموضوع، معارفهم اللغوية، المعايير الاجتماعية، شخصياتهم وأدوارهم[23].

يعرف تمام حسان المقام أنه هو المحور الذي يدور حول علم الدلالة، وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال، ويوضح حسان أن العرب قد وفقوا في الإحاطة بمفهوم المقام حين أطلق البلاغيون العرب عبارة (لكل مقام مقال) و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام) وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات[24]، فمقامات الكلام خاضعة لمناسبات القول، وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ولا يتم التفاهم في أي لغة إلا

إذا روعيت تلك المناسبات[25]، وهذا ما نلمسه مجسدا في كلام (بِشر) الذي أورده الجاحظ حيث أن مدار شرف الكلام متوقف على تحقيق الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال، كما أن المقام هو الذي يوجب خصوصية العمل اللغوي، فيكون سببا يؤثر في صياغة الملفوظ، ليؤدي عملا لغويا معينا دون آخر[26].

تحليل نموذج للاستفهام بهل في الآية 53 من سورة الأعراف

تحليل نموذج

في هذا القسم من البحث نتناول ما بيّناه نظريا في القسم الأول، ونطبقه على الاستفهام باعتباره فعلا كلاميا، يتحقق وفق شروط نحوية مضبوطة، تتمثل خاصة في الواسم النحوي، مع مقام موجه للدلالات والمعاني التي كان قد حددها علماء اللغة العربية قديما وخاصة علماء البلاغة، وما أقره غير واحد من علماء التداولية المعاصرين، والأمثلة التي نوردها هي آيات من ذكر الله الحكيم.

قال الله تعالى :{**فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدّ فَنَعْمَل غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَل قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسهمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ** } الأعراف الآية 53

لا بد من الإشارة إلى أن استعمال الواسمات النحوية، أو لنقل الأدوات الإنجازية في أسلوب الاستفهام يخضع لأنظمة نحوية بينتها كتب النحو وفصلت في الكلام فيها، ولا يستقيم تركيب الجملة الاستفهامية إلا بها، وأي تغيير في نظام هذا التركيب سيتبعه حتما تغيير في الفعل الناتج عنه، لذا سنضع سلسلة الشروط التي ترتبط بالتركيب النحوي للاستفهام عموما، وبالشروط الخاصة باستعمال "هل" بصورة بلاغية فصيحة أمام الآية الكريمة .

1-**المستفهِم**: ويشترط فيه أن يكون جاهلا بالموضوع، ولذا لا يكون الاستفهام في القرآن إلّا لغرض يخرجه عن حقيقته، فهو صادر ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام، ومنه يستحيل أن يكون هذا الاستفهام حقيقيا، لأنه صادر من الله تعالى، وهو منزه سبحانه عن الجهل بالموضوع، وما دام كذلك فله غرض غير طلب الفهم، الذي هو أصل الاستفهام، هذا الخروج عن الأصل سيحدّد وفقا للمقام الذي وردت فيه الآية، وإن اعتبرناه أطلق على لسان الكفار فإنه يبقى فيه الاحتمالان، العلم أو عدم العلم، وبه

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

يتحدد الغرض من إنشاء الاستفهام من هذا الجانب، فعلى اعتبار أن المستفهِم عالم بالموضوع، فإنهم قد وصلوا إلى حق اليقين بأنهم من أصحاب النار، وهم يذوقون عذابها، فيكون الاستفهام هنا أمنية يتمناها الكافرون في أنفسهم، ويصرحون بها في ألسنتهم، أو إنهم فعلا جاهلون بالموضوع فيقع الاستفهام على حقيقته في طلب الفهم، فهم يتساءلون: هل يوجد لهم شفعاء يشفعون لهم عند ربهم فيخرجهم من النار، أو يخفف عنهم من عذابها، فيجوز أن يكون الاستفهام حقيقيا يقوله بعضهم لبعض، ويجوز أن يكون مستعملا للتمني[27].

2–**المستفهَم**: يشترط فيه أن يكون قادرا على فهم موضوع الاستفهام والقدرة على تأويله بما يناسب المقام، وأن يكون أهلا لما يسأل عنه، فإن كان المستفهم هم الكفار فيما بينهم، فإن الاستفهام يحتمل أن يكون حقيقيا يوجهه بعضهم لبعض، و يحتمل أن يكون إنكاريا يقرون هم به فيما بينهم، أي ليس لنا شفعاء، وهذا ما ذكره ابن عاشور، إذ يعد أن هذا الاستفهام يقوله الكفار بعضهم لبعض، لعل أحدهم يرشدهم إلى مخلص من تلك الورطة، ولا يمكن أن يكون الكفار قد وجهوا سؤالهم لأصنامهم، لأنهم قد يئسوا منهم، وإن افترضنا أن الاستفهام موجه لله عز وجل فإن الاستفهام حقيقي لا غير، ولذا كان تعقيبه سبحانه عليهم {قد خسروا أنفسهم} فهو تعقيب يدل بالكناية، لا بصريح اللفظ، على أن أمنيتهم مرفوضة[28].

3–**المستفهَم عنه**: ويقصد به الموضوع الذي يكون من أجله طرح الاستفهام، ويشترط فيه أن يكون مجهولا لدى المستفهِم، أو مستبهما بتعبير القدماء، فنجد السيوطي في الاقتراح يوجب أن يكون السؤال عما ثبت فيه الاستبهام، فقد قيل ما ثبت فيه الاستبهام صح عنه الاستفهام، وكذلك المسؤول عنه ينبغي أن يكون مما يمكن إدراكه[29]، وهذا غير حاصل، فقد جاء في تفسير الطبري لهذه الآية أن القول فِي تأوِيل قَوله تعالى : { فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدّ فَنَعْمَل غَيْر الَّذِي كُنَّا نَعْمَل قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسهمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } يعني: هل لنا من أَصدِقاء وأولِياء اليوم، فَيَشْفَعُوا لنا عند ربنا،

فتُنْجِينا شفاعتهم عنده مِمَّا قد حل بنا من سُوءِ فِعَالنا فِي الدنيا ؟ قال هَذا القول، المسَاكِين هنالِك، لِأَنهُم كَانوا عَهِدُوا فِي الدنيا أنفسهم لَها شفَعَاء تَشْفَع لَهم فِي حَاجاتهم، فَيَذكروا ذلك فِي وَقْت لا خُلَّة فِيهِ لَهُم ولا شَفَاعَة، فصاروا يسألون عن أي شفيع يشفع لهم، ولو يكون الرسول صلى الله عليه و سلم الذي ناصبوا له العداء [30]، ففي حقيقة الأمر عدم حصول الشفاعة معلوم حاصل في أذهانهم، وإنما يتمنون، فالاستفهام من هذا الجانب لا يكون حقيقيا، بل يراد به التمني حسب مقام الآية، لأن التمني يقتضي استحالة حصول المطلوب، وهذا ما أقرته الآية الكريمة،

والمستفهم عنه شيئان:

أ/ استفهام عن نسبة(التصديق): ويتعلق بالاستفهام عن نسبة المسند إلى المسند إليه، فأنت تستفهم عن صحة وقوع مضمون الجملة[31]، فالنسبة يستفهم عنها، سواء أكانت عن خبر قائم على يقين أم فيه تردد أو شك يحتمل التصديق والتكذيب أو الشك واليقين فهي عن أخبار، وليس عن أشياء يقول السيوطي:« الاستخبار ما سبق أولا، ولم يفهم حق الفهم، فإذا سألت عنه ثانية صار استفهاما»[32]، فالكفار يستفهمون إن كانت تنسب لهم الشفاعة أم لا، وهذا يكون بـ"هل" غالبا، فهذه الحيرة تدل على اليأس ولا شفاعة إلا بالتمني،و هو غير واقع محالة.

ب/ استفهام عن مفرد(التصور): طلب الفهم عن مفرد، وهو قد يكون بعيدا عن بحثنا لأن "هل" يطلب بها النسبة لا التصور.

4–مسؤول به(صيغة السؤال): وينبغي أن يكون ببعض ألفاظ الاستفهام، أو قد تحذف الأداة وينجز الاستفهام بالتنغيم أو لنقل النبر[33]، يقول سيبويه :« وحروف الاستفهام كذلك لا يليها إلا الفعل، إلا أنهم قد توسعوا فيها فابتدءوا بعدها الأسماء، والأصل غير ذلك »[34]، ودليل قوله أن حروف الاستفهام لا يليها إلا الفعل، أنها تشبه أدوات الشرط في دلالتها على الاحتمال، وعدم الوجوب، فيطلب بها أمر لم يستقر عند السائل، ولأن الأفعال تدل على الاحتمال، أما الأسماء تدل على معان ثابتة، وهذا ما ذهب إليه البلاغيون، فـ(هل) أكثر اختصاصا بالفعل من الهمزة، لأنها لطلب التصديق الذي يرتبط بالحدث، والحدث ملتصق بالفعل لا الاسم الذي يتعلق الذوات، لذا فإن (هل) تدخل على الجملة الفعلية، وفي الآية

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

الكريمة دخلت (هل) على جملة اسمية، وهو لغرض بلاغي، فالصيغة التي ورد بها الاستفهام في الآية، جاء على خلاف القاعدة التي أقرها النحويون، في وجوب أن يلي "هل" الفعل، فهذا يدل على أن الاستفهام غير حقيقي، يخرج إلى غرض بلاغي آخر، هو أن انتفاء الشفاعة ثابت قائم، بدلالة الجملة الاسمية التي تدل على ثبوت عدم حصولهم الشفاعة، بعكس الجملة الفعلية التي تدل على احتمال ذلك.

5– المقام:

المقام يحدد الغرض الذي يجعل الاستفهام يخرج عن حقيقته، في هذا الشأن يقول السكاكي:« واعلم أن هذه الكلمات كثيرا ما يتولد منها أمثال ما سبق من المعاني، بمعونة قرائن الأحوال »[35] ، وفي خروج الاستفهام عن حقيقته نطرح السؤال التالي: هل يكون الاستفهام فيه موجودا، ويضاف إليه معنى آخر؟ أم تتجرد الجملة عن الاستفهام كلية؟، هذا سؤال طرحه الزركشي (في البرهان) وأجاب عنه بما يلي:« لا ينبغي أن يطلق أحد الأمرين، بل منه ما تجد في التسوية، ومنه ما يبقى منه، ومنه ما يحتمل ويحتمل، ويعرف ذلك بالتأمل»[36]، فهذا يعني الاستفهام في الآية {**هل لنا من شفعاء**} يحمل عدة أوجه، فهو الاستفهام وهو التمني، وهو استفهام وتمنٍ في آن واحد، و السؤال الآخر، هل المراد من الاستفهام عند إطلاقه المعنى الظاهر أم المعنى الباطن؟ يجيب الشاطبي: « وكون الباطن هو المراد من الخطاب قد ظهر أيظا مما تقدم في المسألة قبلها، وَلَكِن يشْتَرط فِيهِ شَرْطَانِ: أَحدهمَا :أَن يَصح على مُقْتَضى الظَّاهِر الْمُقَرّر فِي لِسَان الْعَرَب، وَيجْرِي على الْمَقَاصِد الْعَرَبيَّة، والثَّانِي أن يكون لَهُ شَاهد نصا أَو ظَاهرا فِي محل آخر يشْهد لصِحَّته من غير معَارض»[37]، وهذا متحقق في الآية الكريمة، ولا يكون الاستفهام حقيقيا إلا إذا كان لفظه الظاهر موافقا لمعناه الباطن عند سؤالك عما لا تعلمه، وهم – أي الكفار– يعلمون يقينا ألا شفيع لهم يوم القيامة، فقد أجابهم المولى بقوله: { قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسهمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ } لتكون دلالة التمني والتحسر أكيدة في هذا الاستفهام، بالنظر إلى تحقق شرطي الشاطبي، فالمعنى البلاغي يؤيده النص القرآني صراحة، المقصود من هذا الاستفهام، يقول عنه صاحب البرهان: «حملت "هل" على

إفادة التمني لعدم التصديق بوجود شفيع في ذلك المقام فيتولد التمني بمعونة قرينة الحال»[38]، فتفسير معنى الاستفهام في هذه الآية تم استنباطه من خلال الجانب اللغوي بتعقيب المولى عز وجل، إضافة إلى مقام التخاطب الذي يصف أهل الكفر يوم القيامة وكيف يكون حالهم ومآلهم، فليس لهم إلا التمني سبيلا للتعبير، فحتى التمني لا يستطيعونه، إلا إن تساءلوا عليه، وأما النص الشاهد الذي يؤيد هذا المعنى هو قوله سبحانه:{فما لنا من شافعين ولا صديق حميم}الشعراء 100.فهم يعلمون ألا شفيع لهم، وإنما يتمنون بصيغة السؤال.

وبعدما تطرقنا إلى دراسة فعل الاستفهام من خلال عناصر تركيبه، سنحكم مثالنا { **فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء** } إلى الشروط التي وضعها النحاة لتحقق الاستفهام بـ"هل" وقد فصلنا فيها في بداية بحثنا، ومنها:

-**لا يذكر معها معادل**: لأن ذلك يؤدي إلى التناقض، فالسؤال بـ"هل" يقتضي جهلك بالحكم، وإذا ذكرت المعادل بـ"أم" يدل على معرفتك بالحكم، فيجتمع علمك بالحكم مع جهلك به في جملة واحدة، وهذا لا يكون، لذا جاءت (أو) محل (أم) في الآية الكريمة، لأنه إن كان حرف استفهام آخر غير الهمزة كان العطف بـ" أو" مثال ذلك : هل تقوم أو تقعد ؟[39]، ليظهر أن هذا الاستفهام-في البداية- وارد على حقيقته، يقول الله تعالى :{ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاء فَيَشْفَعُوا لَنَا(أَوْ)نُرَدّ فَنَعْمَل غَيْر الَّذِي كُنَّا نَعْمَل}فهم يستفهمون عن أحد الأمرين، لأن أحدهما لا يجتمع مع الآخر، فإذا حصلت الشفاعة فلا حاجة إلى الرد، وإذا حصل الرد استغني عن الشفاعة، وهذا ممتنع عقلا ونصا، فالاستفهام هنا لا يمكن أن يرد على حقيقته، بل يراد به الحسرة مع التمني، فهم يبحثون ويريدون الشفاعة، وتسوية لذلك يطلبون الرجعة، وهذا لا يكون، فلا يكون الاستفهام واقعا على حقيقته لسبب التناقض الوارد على لسان الكفار، فيبقى التمني والحسرة واقعا، أما الاستفهام فهو وارد لفظا فقط.

-لا تدخل (هل) على الشرط: فلا يصح قولنا : هل إن جئتك تكرمني ؟ لأن جملة الشرط تتكون من جزأين تعلق تحقق أحدهما بالآخر، وهذا ما يؤكده استعمال(أو) بمعنى الشرط،وبمعنى (إلا إن)كقولك: لأقتلنك أو لتطيعني، وقولك: لأقتلنه عاش أو مات[40]، فإن اعتبارنا (أو) للشرط لم يجز لغة ولا شرعا، فالنحاة جعلوا من الشروط ليحقق الاستفهام معناه الأصلي، ألا يدخل على هل شرط، وهنا نجد الكفار

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد 5 / العـدد:2 (2021)، ص 57– 86

كأنهم يشترطون الشفاعة إلا إن ردهم الله إلى الدنيا فيعملوا صالحا، وهذا غير واقع، فيكون الاستفهام للتمني، وليس لطلب الفهم.

–يليها الفعل: فالاسم بعدها إن وليه فعل يكون فاعلا لا مبتدأ نحو قولنا: هل أطفال الحجارة يلقنون اليهود درسا قاسيا؟، فإن دخلت على الجملة الاسمية فلغرض بلاغي، مثل قول الله تعالى:{ فهل أنتم منتهون } ولم يقل "تنتهون" لأن الانتهاء أو الشكر غير مقيد بزمن، ودخول "هل"على الجملة الاسمية يدل على الثبات دون التعرض لزمن[41]، فهي:«لا تدخل على جملة اسمية خبرها فعل نحو هل زيد قام؟ »[42] ومنه فإن دخول "هل" على الجملة الاسمية له غرض بلاغي، لأن الأصل دخولها على الفعل، فيكون الغرض التمني لتحقق الشفاعة، وهنا قد وقع تقديم الخبر لأنه شبه جملة فالتقديم والتأخير مع الاستفهام يكون لغرض بلاغي يفيد استقرارهم على ما هم عليه من الحسرة.

ومن أهم الشروط التي توضع لتحديد الفعل الناتج عن أسلوب الطلب عموما والاستفهام جزء منه هو **المقام**، أو لنقل مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالاستفهام يتغير معناه وفقا للمقام الذي ورد فيه، وهو أصل تقوم عليه كل الصيغ التي يتكون منها الخطاب[43]، فالمقام في الآية مقام عتاب باعترافهم لبعضهم البعض بالخطأ في تكذيبهم الرسل في الدنيا، فيمكن أن يكون الاستفهام مستعملا في التمني، ويجوز أن يكون مستعملا في النفي، كما يكون مستعملا في الحسرة والندم، وهذا ما أفاده توكيد العموم في المستفهم عنه، لأنهم صاروا يسألون عن أي شفيع يشفع لهم[44]، فالمحدد لفعل الاستفهام هو مقام الحسرة الذي وجد فيه الكفار أنفسهم في وضع بؤس، فلا هم ردوا إلى الدنيا ولا هم نالوا الشفاعة، فالمقام يمنح الاستفهام دلالات تخرج عن الأصل الذي وضع له الاستفهام أصلا.

فهذه بعض الشروط النحوية والمقامية التي أقرها علماؤنا في التراث العربي، لتكون مقياسا لتحقق الاستفهام باعتباره فعلا كلاميا ينجز وفق شروط نحوية صارمة تتحقق وسط مقام خاص.

بعدما عرضنا للشروط المقامية والنحوية التي أقرها علماؤنا في التراث اللغوي العربي، سنحاول أن نخضع الاستفهام الذي أوردناه إلى بعض الشروط التي وضعت لتحقق نجاح الفعل الكلامي والتي تكلم عنها التداوليون، ومنهم أوستين، وبعده سيرل .

إن وظيفة اللغة في الاتجاه التداولي تحدد بكونها إطارا مؤسسيا لتحقيق أعمال لا تتم إلا بها، حيث يدمج هذا الاتجاه (المقام) في تحديد المعاني الدالة للجملة[45]، ولابد لنا من معرفة طرق التأويل الدلالي التداولي لأن « التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفي فيه بمعلومات الصيغة وحدها» [46]، وهذا في الحقيقة لم يغفل عنه المتقدمون ولا المتأخرون، فمؤشر القوة الإنجازية للاستفهام في اللغة العربية يكون تنغيما أو أداة استفهام أو فعلا إنجازيا كالفعل(سأل)[47]، وليس بالضرورة أن يكون التركيب يحمل عناصر الاستفهام المتعارف عليها صيغة وترتيبا، ولذا فقد اهتم علم المعاني بالجانب التركيبي، وما ينتج عنه من معان تتغير بتغير السياق .

يبنى فعل الاستفهام على مجموعة من الشروط، فالاستفهام قائم على اعتقاد المتكلم أن مخاطبه يمتلك الإجابة التي كان الطلب عليها من المستفهم، ومن المفترض أن المستفهِم لا يعلم الإجابة، وأي تغيير لهذه الشروط التي يبنى عليها الاستفهام، يكون تغييرا في فعل الاستفهام، وبالتالي يتولد فعلا كلاميا جديدا، ففي الآية الكريمة دلالة على التمني الذي يقتضي طلبا لا طمع فيه بدلالة قرائن المقام والمقال، فهو استفهام يقتضي عكس أصله، السلب فحسب، بينما الاستفهام الحقيقي يقتضي السلب والإيجاب معا، ولا يكون الاستفهام يقتضي السلب فقط إلا في صورة التمني[48]، وهذا حاصل فعلا من واقع صورته الآية الكريمة ، فلا شفاعة ولا رجوع.

وبالنسبة للشروط التي تكلم عنها سيرل و سميت " شروط النجاح" في تحقق فعل الاستفهام- وهو لب بحثنا – سنبحث في دقائقها لنبني عليها افتراضاتنا لتحقق فعل الاستفهام وفقا لهذه الشروط والتي هي كالآتي[49]:

المحتوى القضوي : في الآية نجد الكفار يستفهمون عن حصول الشفاعة لهم يوم القيامة، أهو ممكن أم غير ممكن، لذا طرحوا هذا الاستفهام، فالواسم النحوي (هل) هو للاستفهام وليس للتمني، لكنها تبرز المتمني

في صورة المستفهم عنه الذي لا جزم بانتفائه لإظهار كمال العناية به، حتى لا يستطاع الإتيان به إلا في صورة الممكن الذي يطمع في وقوعه[50]، ولأن الاستفهام يتطلب الإيجاب كما يتطلب السلب، وهم يتوهمون باطلا حصول الشفاعة، وهو ممتنع، فالاستفهام ضرورة يخرج عن أصله الذي وضع له، وهذا بالنظر إلى ى الوسائل الدالة على الفعل الكلامي[51] ، ومنها لفظ الفعل الإنجازي والصيغة النحوية كلاهما يدلان على معنى الاستفهام، التي تتعاون عناصرها الصوتية والصرفية والنحوية في التعبير عن الفعل الإنجازي الذي يعبر به المتكلم في اتصاله مع السامع عن موقف معين[52]، وهذا الموقف أو المقام هو الذي يحدد الفعل الكلامي الناتج عن جملة الاستفهام في الآية، وكما ذكرنا فإن التأويل الدلالي الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفي فيه بمعلومات الصيغة وحدها، فلا بد من المقام لمعرفة الفعل الكلامي ،يعني أن الاستفهام وحده غير وارد بل يكون في الكلام فعلا كلاميا غير مباشر، إنه التمني أو الحسرة وليس الاستفهام فقط.

الشرط التمهيدي: ويتحقق عندما يكون المتكلم أو المتلقي قادرا على إنجاز الفعل وأن يكون السائل جاهلا بالجواب، وحسب حقيقة الآية من تفسيرها، فإن الكفار يعلمون يقينا ألا شفيع لهم يوم القيامة، وهم مدركون ذلك فعلا، فما دام السائل عالما بالجواب، فالاستفهام لا يجري على ظاهره بل يحقق فعلا كلاميا ثانويا، وحسب تمييز سيرل للأفعال غير المباشرة عن أفعال الكلام المباشرة، فإن فعل القول في حد ذاته لا يوحي أن السائل جاهل بالمسألة وجوابها، لدرجة أنهم طلبوا الشفاعة المستحيلة بالتوازي مع الرجوع المستحيل إلى الدنيا، لذا فإن الاستفهام هنا يولد فعلا كلاميا غير مباشر لأنه صادر ممن علم جوابه.

شرط الصدق : أن يكون السائل راغبا بتلك المعلومة، فالاستفهام يصنف في خانة التوجيهات إن كان القصد بصورته المباشرة، و بدلالة إنجازية جديدة إن كان القصد تحقيق فعل غير مباشر، وهذا لن يتحقق لهم، فسؤالهم الشفاعة يعلمون استحالة تنفيذه، فيكون الفعل الإنجازي غير مباشر، يتعلق بأمر لا سبيل لتحققه، ألا وهو التمني.

الشرط الأساسي : أن تكون المقولة بمثابة محاولة للحصول على تلك المعلومات من المسؤول، فالكفار يطلبون الشفاعة، أو { أَوْ نُرَدّ فَنَعْمَل غَيْر الَّذِي كُنَّا نَعْمَل}و كأنهم يحاولون-عبثا- الحث على إنجاز فعل معين[53]، هو في الحقيقة حث فاشل لأن الله تعالى قال : {قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسهمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ }فهذا الشرط لم يتحقق، فيكون الفعل الإنجازي تمنيا وليس استفهاما خالصا.

لقد أثبتت هذه الشروط التي وضعها سيرل أن الفعل الكلامي ومنه فعل الاستفهام ينجز وفق شروط تتعلق بالجملة ذاتها، خاصة بواسطة الواسمات النحوية، كما أن للمقام التواصلي الدور الأساس في توجيه دلالة الفعل الكلامي.

5.خاتمة:

في خاتمة بحثنا نورد النتائج التي وصلنا إليها، وهذا بإظهار المقارنة بين التصنيف للشروط المحددة لتحقق فعل الاستفهام باعتباره فعلا كلاميا حقيقيا، يتحقق بواسمات نحوية، وينجز أفعالا كلامية ثانوية عند تغير الشروط التي أقرها النحويون في التراث اللغوي العربي، وبين التصنيف المقترح لتحديد شروط نجاح الفعل الكلامي التي وضعها علماء التداولية في الغرب وخاصة منهم أوستين وسيرل، في تحديدهم وتصنيفهم للأفعال الكلامية، وهذه الشروط هي للنظر في مدى نجاح الفعل الكلامي المطلوب، فأهم ما وصلنا إليه من نتائج نورده في النقاط التالية:

1- الفعل الكلامي لدى العلماء العرب ومن بعدهم الغرب، وعلى رأسهم سيرل، يعتبرون أن الفعل الكلامي مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، فالمقام محدد رئيس للمعنى الأصلي، وللمعاني الثواني للاستفهام.

2- اعتمد العرب في تحديدهم للاستفهام بصفته فعلا كلاميا على الصيغة اللغوية، مضافا إليها المقام الموجه لتلك الصيغة اللغوية، وهذا ليتحقق المغزى من إطلاق الاستفهام، بينما اعتمد سيرل على المعنى الدلالي بالإضافة إلى المغزى، متجاهلا نمط الجمل، إلا في بعض الحالات، كاستعمال ألفاظ بعينها تدل على الوعد أو الاستفهام أو غيره من الألفاظ المحددة للفعل الكلامي.

3- الشروط النحوية ضرورية في تحديد الفعل الناتج عن القول عند علماء العربية، بينما يتحقق

الفعل الكلامي عند أوستين وسيرل في بعضها فقط، مثل الوعد فإنه يتحقق باستعمال الفعل المضارع.

4- يعد المقام محورا رئيسا في تحديد فعل الاستفهام المباشر وفعل الاستفهام غير المباشر، فبه نعرف المعاني التي يخرج منها إلى أغراض أخرى كالتمني والأمر وغيرها، وكذلك تنجز أفعالا بالاستفهام يحددها المقام ، كما بينا عند أوستين.

5- الوصول إلى المعنى الثاني للاستفهام نصل إليه عبر استدلالات ذهنية، بواسطة العلاقات والمناسبات المتعلقة بالكلام.

وعلى هذا فإن الإجابة الموافقة لما طرحناه في إشكالية بحثنا تؤكد مدى تحقق فعل الاستفهام بالشروط النحوية بشكل رئيس بيّن، لدرجة اعتمادها شرطا منفصلا عن باقي الشروط المقامية، وهذا غير متحقق في الدراسات الحديثة في نظرية الأفعال الكلامية، التي تعتبر الصيغة النحوية وحدها غير كافية للنظر في تحقق الاستفهام بصفته فعلا كلاميا، ويبقى واسع النظر في هذه القضية التي تعنى بدراسة ظاهرة لغوية شغلت العديد من العلماء و مازالت.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم.

[1]- الإستراباذي:رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي:شرح الرضي،تحقيق يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس،ط2، 1996، بنغازي، ليبيا.

2- الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري:الإغراب في جدل الإعراب،تح: سعيد الأفغاني،مطبعة الجامعة السورية، 1958.

3- الأوسي:قيس اسماعيل الأوسي: أساليب الطلب، المكتبة الوطنية ،بغداد، 1988.

4- بسمة بلحاج رحومة الشكيلي: السؤال البلاغي، الإنشاء و التأويل، دارمحمد علي للنشر، ط1، 2007،تونس.

5- التفتازاني:سعد الدين مسعود بن عمر:مختصر السعد في شرح تلخيص المفتاح،ضمن شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان

6- التفتازاني : المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط3، 2013، لبنان.

7- تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها،دار الثقافة، 1994، الدار البيضاء، المغرب.

8- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان و التبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1998 .

9- الجرجاني:علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تحقيق: محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، الإمارات.

10- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني:الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

11- الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2012.

12- الخليفة:هشام عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2008، لبنان

13- الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على مختصر السعد، تحقيق خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية،ط1، ،بيروت 2002.

14- دلاش: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ،ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992

15- الدماميني، محمد بن أبي بكر الدماميني:شرح الدماميني على مغني اللبيب، صححه أحمد عزو عناية، مؤسسة التاريخ العربي،ط1، 2007، بيروت

16- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن،مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، 1984

17- السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي: مفتاح العلوم تحقيق عبد لسلام هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، 2000، بيروت.

18- السيوطي جلال الدين :الاتقان في علوم القران، علق عليه:مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2008، دمشق

19- السيوطي:الاقتراح في علم أصول النحو،تح:محمود سليمان ياقوت،دار المعرفة الجامعية،مصر، 2006.

20- سيبويه:أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، 1988، القاهرة.

21- الشاطبي: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بم محمد اللخمي: الموافقات، دار ابن عفان، ط1، 1997، المملكة العربية السعودية.

22- شكري المبخوت :دائرة الاعمال، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2010، بيروت.

23- فدوى العذاري:تشارطات الاستفهام، كلية الآداب جامعة سوسة، 2013.

24- فضل حسن عباس: البلاغة العربية فنونها و أفنانها، دار الفرقان للنشر و التوزيع، ط4، 1997، عمان، الأردن.

25- صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص، دار المتوسطية للنشر، ط1، 2009، تونس.

26- صحراوي: مسعود، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، ط2، 2020، الجزائر.

27- الصعيدي: عبد المتعالي:بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، مكتبة الآداب، القاهرة، 1999.

28- الصراف:علي محمود حجي: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة

29- الطبري: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق : بشار عواد معروف،مؤسسة الرسالة، ط1، 1994، بيروت، لبنان.

30- الطبطبائي:طالب سيد هاشم: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب،مطبوعات جامعة الكويت، 1994

31- طلحة محمود: مبادئ تحليل الخطاب في التراث البلاغي العربي من خلال شروح التلخيص،دار كنوز المعرفة، .ط1، 2019، عمان-الأردن

32- عبد الكريم محمود يوسف : أسلوب الاستفهام غرضه و إعرابه، مطبعة دار الشام، ط1، 2000، دمشق.

33- العمري محمد: نظرية الأدب في القرن العشرين،إفريقيا الشرق، ط2، المغرب،2014.

34- القاسمي:محمد جمال الدين القاسمي:تفسير القاسمي محاسن التأويل، علق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1958.

35- ابن القيم: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية ، الفوائد المشوق ،عني بتحيحه: محمد بدر الدين النعساني، مطبعة الخانجي، ط1، 1327هـ.

36- المتوكل:أحمد المتوكل :آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، 1993

37- المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي،دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1986..

38- محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 2002.

39- المخزومي: مهدي المخزومي :في النحو العربي نقد وتوجيه،دار الرائد العربي،ط2 ، 1986،بيروت–لبنان.

40- المطعني:عبد العظيم إبراهيم: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، مكتبة وهبة، ط3، 2011، القاهرة، ج1.

41- الميداني:عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: البلاغة العربية،أسسها و علومها و فنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت،ط1، 1996.

42- الميداني: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني: معارج التفكر و دقائق التدبر، دار القلمط1، 2000، دمشق.

43- ابن هشام، جمال الدين بن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تدقيق: عبد العظيم الشاعر،مكتبة الآداب، القاهرة.

7. الهوامش:

[1] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص11.

[2] طلحة محمود: مبادئ تحليل الخطاب، ص185–192،و ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب،ص54–60، ينظر: محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي، ص47، 49، 50، 51،ينظر: أحمد

المتوكل : آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي،ص 22، و ينظر: هشام عبد الله الخليفة : نظرية الفعل الكلامي، ص43، 44، 107، 116.

[3] الجرجاني: معجم التعريفات ص18.

[4] أبو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الأنباري:الإغراب في جدل الإعراب، ص36-37.

[5] أحمد المتوكل:دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص99.

[6] ينظر: الأنباري : الإغراب في جدل الإعراب، ص 37- بسمة بلحاج : السؤال البلاغي، الإنشاء و التأويل، ، ص71.

[7] محمد العمري: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص122.

[8] عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني:البلاغة العربية أسسها و علومها و فنونها ،ج1، ص 270.

[9] الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج2 ص 328.

[10] ابن جني:الخصائص،ج2،ص464، 465.

[11] ابن القيم: الفوائد المشوق ص158.

[12]الميداني: البلاغة العربية،أسسها و علومها و فنونها، ج1، ص 271.

[13] الزركشي :البرهان:ج2 ص433.

[14] عبد المتعالي الصعيدي: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح، ج2، ص38.

[15] الجرجاني: دلائل الإعجاز،ص52، 53، و ينظر:عبد الرحمن الحاج صالح : بحوث و دراسات في اللسانيات العربيةج1، ص 342.

[16] التفتازاني: المطول 419.

[17] ابن هشام : مغني اللبيب، ص 9.

[18] سيبويه: الكتاب،ج3،ص 189، شرح الرضي ج4، 446، ابن هشام: مغني اللبيب،284- 287-شروح التلخيص، ج2 ، 261. وينظر: الزركشي: البرهان ج4،ص433.عبد الكريم محمود يوسف : أسلوب الاستفهام غرضه و إعرابه.ص13.

[19] الجاحظ: البيان و التبيين،، ج1 ص136 138 ، 139.

[20] الدسوقي محمد بن أحمد بن عرفة: حاشية الدسوقي على مختصر السعد، شروح التلخيص،ج1، ص125.

[21] الفتازاني: مختصر السعد،ضمن شروح التلخيص:ج1،ص 126.

[22] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي: مفتاح العلوم ص168.

[23] ينظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص40، .41.

[24]تينظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، ص372، 373

[25] مهدي المخزومي: في النحو العربي نقد و توجيه، ص 225.

[26] ينظر: صابر الحباشة: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص، ص183.

[27] الميداني: معارج التفكر و دقائق التدبر، ج4، ص 277، ، 279، 278.ابن عاشور: التحرير والتنويرج8،ص156.

[28] ، ص375، و ينظر : التحرير والتنويرج8،ص156.

[29] ينظر: جلال الدين السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو،ص 360. 363.

[30] الطبري: تفسير الطبري ،ج3 /ص، 446 . 447، و ينظر : التحرير والتنويرج8،ص156.

[31] قيس إسماعيل الأوسي: أساليب الطلب: ص 315.

[32] السيوطي جلال الدين :الاتقان في علوم القران، 2008، دمشق،ص 576.

[33] ينظر: بسمة بلحاج : السؤال البلاغي ص71.

[34] سيبويه: الكتاب، ج1/ص ،98. 99.

[35] السكاكي: مفتاح العلوم،ص 313، 314.

[36] الزركشي : البرهان ج2 ص347.

[37] الشاطبي: الموافقات، ج4،ص231، 232. وينظر: محمد جمال الدين القاسمي:تفسير القاسمي ، ج1، ص67.

[38] الزركشي: البرهان في علوم القرآن،ج2 ص 231.

[39] الهروي : الأزهية في علم الحروف،ص 126.

[40] ابن هشام: مغني اللبيب: 85، الهروي: الأزهية121.

[41] ينظر:فضل حسن عباس: البلاغة العربية فنونها و افنانها ص185.

[42] الاستراباذي:شرح الرضي، ج4 ،ص 446.

[43] محمود طلحة: مبادئ تحليل الخطاب، ص 121.

[44] ابن عاشور: التحرير و التنوير، ج8، ص 156.

[45] ينظر: فدوى العذاري:تشارطات الاستفهام،ص 65.

[46] أحمد المتوكل : دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص93 .

[47] المتوكل دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص109.

[48] شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص212.

[49]طلحة محمود: مبادئ تحليل الخطاب، ص185.

[50] شروح التلخيص: ج1، ص240، 241.

[51] هشام عبد الله الخليفة: نظرية الفعل الكلامي، ص 149

[52] ينظر: علي محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة،ص51.

[53] علي محمود حجي الصراف : الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ص 53،ص 190.